

أحاديث رمضان ١٤٢٣ هـ - أحاديث قفسية - الدرس (٣١-٢٢): أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني.....

لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٧-١١-٢٠٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ثقة الإنسان بالله هي رأسه :

أيها الأخوة، أخرج الإمام مسلم في صحيحه من كتاب التوبية:

((عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آلة قال قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني والله لآفرج بتوبته عبده من أحديكم يجد ضالته بالفلاة ومن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً ومن تقربت إليه باعاً وإذا أقبل إلى يمشي أقبلت إليه أهرون))

[مسلم عن أبي هريرة]

((أنا عند ظن عبدي بي ...))

لو أن الإنسان استغفر الله وهو يشعر أن الله لن يغفر له، لن يغفر له، ينبغي إذا استغفرت الله أن تظن بالله ظناً حسناً أنه يغفر لك، وبينما ينتهي إذا دعوه أن تظن به ظناً حسناً أنه يستجيب لك، وبينما إن تبت إليه أن تظن به الظن الحسن فتعتقد أنه يتوب عليك، والحقيقة ثقة الإنسان بالله رأسه، الله عز وجل يعلم السر وأخفى، يعلم ما تبديه وما تخفيه، وما يخفى عنك أنت، فالإنسان حينما يدعو الله عز وجل ويشعر أن الله لن يغفر له لن يغفر له:

((أنا عند ظن عبدي بي ...))

ينبغي أن تعتقد أن الله سبحانه وتعالى ما أمرك أن تدعوه إلا ليجيبك، وما أمرك أن تستغفره إلا ليغفر لك، وما أمرك أن تتوب إلا ليتوب عليك، وهذه ثقة الإنسان بالله عز وجل، وحينما تضع ثقتك بغير الله تقع في الشرك، وحينما تتأسف من روح الله وفعت في الكفر.

الله عز وجل يؤدب المسلم لكن لا يتخلى عنه :

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام في الطائف حينما رده أهلها شر رد، وسخروا منه، وكذبوه، ونالوه بالأذى، عاد لمكة، قال له زيد: يا رسول الله كيف تعود إلى مكة وقد أخرجتني؟ قال: إن الله ناصرنبي، هذه ثقة النبي بالله، في الهجرة أهدر دمه، ووضع مئتا ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً، ومع ذلك تبعه سراقة فقال له: يا سراقة كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟ كان عليه الصلاة

والسلام واتفاً أنه سيصل إلى المدينة سالماً، وسيؤسس دولة، وسترسل جيوش إلى أضخم مملكة وقتها، وسوف يهزمها وتأنيه كنوز كسرى! ونحن الآن في أمس الحاجة إلى هذه المعنويات، لأن الناس قد جمعوا لل المسلمين وهدوهم، فلا ينبغي للمسلم أن يصدق كلام هؤلاء، الله عز وجل يؤدبنا لكن لا يتخلّى عنا.

تروي الكتب أن إنساناً يطوف حول الكعبة ويقول: رب اغفر لي ذنبي ولا أظنك تفعل، وراءه رجل صالح قال له: يا هذا ما أشد يأسك من رحمة الله؟ قال: ذنبي عظيم، قال: ما ذنبك؟ قال: كنت جندياً في قمع فتنة، فلما قمعت أبكيت لنا المدينة، دخلت أحد البيوت فرأيت فيها امرأة ورجالاً وطفلين فقتلت الرجل وقلت لامرأته أعطني كل ما عندك، فأعطتني ما عندها، فقتلت ولدتها الأول، فلما رأته جاداً في قتل الثاني أعطتني درعاً مذهبة أعجبتني، تأملتها فإذا عليها بستان من الشعر قرأتهما فوقع مغشياً علىّ، كتب على هذه الدرع:

إذا جار الأمير وحاجاه وقاضي الأرض أسرف في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

((أَنَا عِنْدَ ظُنُونٍ عَبْدِي بِي ...))

[مسلم عن أبي هريرة]

ينبغي أن تظن يقيناً أنك إذا استغفرته يغفر لك، وإن دعوته أجابك، وإن تبت إليه تاب عليك، وما أمرك أن تدعوه إلا ليلبيك، وما أمرك أن تستغفره إلا ليغفر لك، وما أمرك أن تتوّب إليه إلا ليتوب عليك.

(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَثُوبَ عَلَيْكُمْ)

[سورة النساء: ٢٧]

((أَنَا عِنْدَ ظُنُونٍ عَبْدِي بِي ...))

[مسلم عن أبي هريرة]

معية الله أثمن شيء يملكه الإنسان :

لكن حسن الظن بالله ثمن الجنة، والله عز وجل وصف بعض الناس بأنهم الظانين بالله ظن السوء، ظن السوء دليل ضعف الإيمان، والإنسان إذا قال: المسلمين انتهوا في العالم لأن هناك حرباً عالمية ثلاثة معلنة عليهم لا قبل لهم بها:

(إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهْلَكُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا)

[سورة الطارق: ١٥-١٧]

إن الله يؤدبنا.

(وَتَرِيدُ أَنْ تُمْنَنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً وَتَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ * وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ)

[سورة القصص: ٦-٥]

قال:

((...وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذَكُّرُنِي))

[مسلم عن أبي هريرة]

هذه معية الله الخاصة، معيته هي أثمن شيء تملكه، فهو يحفظك، ويوففك، وي Kidd لأعدائك بالحفظ، والتوفيق، والنصر، والتأييد، هذه المعية الخاصة:

((...وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذَكُّرُنِي))

[مسلم عن أبي هريرة]

الله عز وجل مع المؤمن بالتوفيق والحفظ والتأييد والنصر :

لذلك ذكر الله كما قال عنه النبي أفضل شيء، يقول عليه الصلاة والسلام:

((أَلَا أَبْنَكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَرْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفِعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الدَّهَبِ وَالْوَرْقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوهَا أَعْنَاقَكُمْ وَيَضْرِبُوهَا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ذَكْرُ اللهِ تَعَالَى، قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا شَيْءَ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ))

[الترمذى عن أبي الدرداء]

إنك إن ذكرتني شكرتني، وإذا نسيتني كفرتني، ما معنى قوله تعالى:
((أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ ثُقَاتِهِ))

[سورة آل عمران: ١٠٢]

أن تذكره فلا تنساه، وتشكره فلا تكره، وتطيعه فلا تعصيه. وأنا معه؛ معه بالتوفيق، والحفظ، والتأييد، والنصر، وإذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟ ويا رب ماذا فقد من وجدك؟ وماذا وجد من فقدك؟

((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذَكُّرُنِي وَاللهُ لَهُ أَفْرَحُ بَتُوْبَةً عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّةً بِالْفَلَّاءِ ...))

[مسلم عن أبي هريرة]

إن لم يجدها فهو هالك لا محالة، إن وجدتها ردت إليه روحه، لذلك في بعض الأحاديث أن أعرابياً فقد ناقته فتكى حتى أدركه النعاس استيقظ فإذا ناقته أمامه، فاختل توازنه وقال: يا رب أنا ربك وأنت عبدي! فقال عليه الصلاة والسلام: الله أفرح بتوبة عبده من ذاك البدوي بناقته! قدم النبي صورة رائعة، فقد الناقة يعني الموت، ووجданها بعد أن فقدت يعني الحياة، من شدة الفرح اختل توازنه:

((... لَهُ أَفْرَحْ بِتَوْبَةِ عَبْدٍ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّةً بِالْفَلَةِ ...))

[مسلم عن أبي هريرة]

كل أعمال البر هي قرض حسن الله عز وجل :

الآن: أي حركة نحو الله يقابلها معاملة لم تكن في الحساب:

((... وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَيْرًا تَقْرَبَتْ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ...))

[مسلم عن أبي هريرة]

لا يوجد إلا الله، هذه الكلمة عميقه جداً، كلما تقع عينك على أقواء وطغاة وأموال كل هذا بيد الله، إذا كنت معه كان معك، إن انتقيته خلق لك مخرجاً من كل ضائقه:
(وَمَنْ يَعْتَقِلَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا)

[سورة الطلاق: ٢]

((... وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَيْرًا تَقْرَبَتْ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ...))

[مسلم عن أبي هريرة]

أنت قربت خطوة، الله عز وجل يساوي إكراماً لك آلاف الخطوات:

((... وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَيْرًا تَقْرَبَتْ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقْرَبَتْ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلَتْ إِلَيْهِ أَهْرُولُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

هذا شيء معروف، أي عقد صلح مع الله، أو خطب ود الله، أي عمل صالح، ألم يقل الله عز وجل:
(مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرًا)

[سورة البقرة: ٢٤٥]

إن أطعمت جائعاً فأنت أقرضت الله قرضاً حسناً، إن دللت ضالاً فقد أقرضت الله قرضاً حسناً، إن دعوت إلى الله عز وجل فقد أقرضت الله قرضاً حسناً، كل أعمال البر هي قرض حسن الله عز وجل، إن أطعمت كلباً، أو رحمت بهيمة، إن تلافيت أن تدوس على نملة، كل هذا محفوظ عند الله، هذا قرض الله عز وجل.

الأحاديث القدسية من

صياغة النبي لكن المعنى من الله عز وجل :

أعيد الحديث:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِيثُ يَذْكُرُنِي وَاللَّهُ تَعَالَى أَفْرَحْ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّةً بِالْفَلَةِ وَمَنْ

**تَقْرَبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقْرَبَتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقْرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا بَاعَ وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي
أَقْبَلَتُ إِلَيْهِ أَهْرُولُ)**

[مسلم عن أبي هريرة]

أيها الأخوة: هذه الأحاديث القدسية من صياغة النبي عليه الصلاة والسلام، لكن المعنى من الله عز وجل، إما أن المعنى ألقى في روع النبي، أو رأه في المنام، أو جاء به جبريل، فلذلك لها طعم خاص ورائحة خاصة، أنت حينما تقرأ حديثاً قدسياً تشعر أن الله يخاطبك وقريب منك، يا موسى أما علمت أنني جليس من ذكرني، وحيثما التمسني عبدي وجدني.

والحمد لله رب العالمين